نظام المعارف

في فرنسا

﴿ نظرة تاريخية ﴾ كان ثلاثة ارباع السكان في فرنسا امميين حين بدأت الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩[١] وكان المفكرون من الشعب يعلمون ذلك فرفعوا التقارير الطويلة الى الجمعيات الوطنية التي استلمت زمام الاحكام وفي كثير من الاحيان كانت تلك الجمعيات تسنّ القوانين الضرورية لتوسيع نطاق التعليم. ولكن بقيت اصوات الذين رفعوا تلك التقارير كصرخة في واد والقوانين التي سنتها الحكومة بقيت حبراً على ورق حتى سنة ١٧٩٥ حينما اسست دار المعلمين الوطنية وغيرها من المدارس الثانوية. ولكن اضطراب الاحوال واختلال النظام في جميع دوائر الحكومة لم يمكن ولاة الامور الذين عقبوا بعضهم بعضاً بسرعة مدهشة من الانصراف عن الاهتمام بالامور السياسية كشكل الحكومة ودستورها الى الاهتمام بتعزيز المعارف وجعل التعليم اجبارياً مجانياً اجابة لمطالب الشعب. واهمل نبوليون والحكومات التي تبعت حكومتهُ التعليم الابتدائي فكان ذلك خطأً فادحاً لانهُ ان لم يعلّم الصغار الذين منهم رجال الغد ونساؤهُ وعليهم معتمد الامة في مستقبلها فتعزيز التعليم العالي يكون من قبيل وضع الشيء في غير محلهِ لان نفعهُ يزول بزوال الجيل المتعلم. ولكن قيّض الله لفرنسا من يعنى بالتعليم الابتدائي فقلّ عدد الاميين فيها كثيراً دون ان تنفق على ذلك من اموال الحكومة والذين قاموا بهذا العمل العظيم هم اعضاء الجمعيات الدينية

وقام فيها سنة ١٨٣٣ رجل كبير هو المؤرخ والسياسي غيزو فعرف جانباً كبيراً من اهتمامهِ بامر التعليم الابتدائي. وبعد جهاد عظيم فاز بما اراد فسنّت الحكومة قانوناً يقضي بتأسيس مدارس ابتدائية في كل القرى التي فيها حكومات بلدية وفرضت على المجالس البلدية ان تقوم بنفقات المعلمين وحفظ المباني[٢] وكانت هذه المدارس مجانية للفقراء. وسنة ١٨٨١ تمكن الرئيس جول فري من جعل التعليم الابتدائي مجانياً وفي سنة ١٨٨٢ جعل الحضور الى المدارس اجبارياً

(١) Monroe, History of Education p. 538 (٢) الانكلوبيديا البريطانية

والباحث في تاريخ المعارف الفرنسوية لا يستطيع ان يصرف النظر عن المقام الذي نالتهُ المدارس التي اسستها الجمعيات الدينية وقامت بنفقاتها زمناً طويلاً ولكن فرنسا التي خرجت من الثورة وقد استقرّ رأيها ان تفصل الحكومة عن السلطة الدينية لم تشأ ان تأذن لاحد من هذه الجمعيات الدينية ان يتولّى التعليم في مدارسها ولذلك سنت حكومتها قانوناً سنة ١٨٨٦ يحصر المناصب التعليمية في مدارس الحكومة باساتذة علمانيين وابدال التعليم الديني فيها بالتعليم الاخلاقي

﴿ ادارة المدارس ﴾ للمعارف في فرنسا كما في المانيا وزير للمعارف يعاونهُ في اعماله مجلس مؤلف من اثنين وخمسين عضواً (٣) اكثرهم من اصحاب المناصب العلمية العالية في البلاد ولهذا المجلس لجنة مؤلفة من خمسة عشر عضواً تسعة منهم يعيّنهم رئيس الجمهورية ووزير المعارف يعين الباقين . تجتمع هذه اللجنة مرة كل اسبوع وتدير المعارف حسب ما يراهُ اعضاؤها ولكنها مسؤولة عن كل اعمالها امام مجلس المعارف الاعلى . وهناك لجان اخرى فنية تشير على اللجنة التنفيذية والمجلس ولا يتعدى عملها حدّ الارشاد

اما مفتشو المعارف وعددهم سبعة فهم عيون المجلس واذانهُ ومن واجباتهم ان يراقبوا كل المدارس في البلاد وان يكونوا على استعداد دائم لتقديم المعلومات الدقيقة عن حالة التعليم الابتدائي في اي ناحية من انحاء البلاد ومقابلتها بغيرها

وتقسم فرنسا الى سبعة عشر قسماً لا تتفق حدودها مع حدود المقاطعات الجغرافية يدعى كل قسم منها باسم اكاديمي . ولكل من هذه الاقسام مجلس معارف يرأسهُ رجل يعينهُ رئيس الجمهورية ويجب ان يكون حائزاً على شهادة الدكتوراه . فرئيس هذا المجلس يكون رئيس الجامعة التي في مقاطعته ومراقباً عاماً على التعليم العالي والثانوي والابتدائي

وتقسم الاكاديميات الى تسعين قسماً (الجزائر داخلة في هذا التقسيم) في كلّ منها مجلس معارف صغير يدير المدارس الابتدائية ويديرهُ مفتش معارف درس مسائل التعليم درساً دقيقاً فيقضي وقتهُ في درس حالة المدارس التي في ادارته ليرى

(٣) Statesman's Year Book 1922 والانسكلوبيديا البريطانية تقول ٥٧ عضواً و Seeley يقول ٦٠ عضواً

ما يمكن ادخالهُ فيها من الاصلاحات الموضعية. وتقسم هذه الاقسام الى اقسام اصغر فاصغر وفي كلٍّ منها مجلس ومفتش دائرة

فترى مما تقدم ان ادارة المدارس في فرنسا محكمة الى الغاية لان كلاً من الموظفين فيها (من اكبرهم الى اصغرهم) لهُ واجبات معينة يفهمها فيقوم بها دون غيرها منعاً للتشويش. وفي كثير من مجالس المعارف معلمون نالوا قسطاً وافراً من مبادىء فن التعليم فيساعدون المجلس في الامور التهذيبية البحتة

التعليم في فرنسا اجباري لكل الاولاد الذين بين السادسة والثالثة عشرة(٤) ولا يجبر الولد ان يتلقى دروسهُ في مدارس الحكومة بل لهُ ان يتعلم في اي مدرسة يريدها ولكن يشترط ان توافق الحكومة على المدرسة. وتحسب الحكومة في فرنسا ان من حقوق الولد الطبيعية الحصول على التعليم الكافي الذي يساعدهُ على السير في ميدان الحياة. والحكومة تدافع عن هذا الحق مهما كان حال الوالدين فاذا شاء الوالدون ان يعطوا نوع التعليم الذي يتعلمهُ اولادهم والمدرسة التي يتلقون الدروس فيها فلهم ذلك ولكنهم لا يعفون من ارسال اولادهم الى المدارس. ومع ان التعليم الاجباري في فرنسا لم يوضع موضع الاجراء الاَّ منذ ١٨٨٢ فالقانون يسري بدقة على الجميع وفي ١٨٩٥ بلغ عدد التلاميذ ٩١ في المائة من الذين عليهم ان يحضروا المدارس (٥)

﴿ المدارس ﴾ ان نظام المدارس في فرنسا من احكم وأتم النظُم في العالم لان الاتصال بين اصغر المدارس واكبر الجامعات على اتمهِ فتفوق فرنسا بذلك سائر البلدان

فمدارس الام او مدارس الاطفال écoles maternelles تعنى بالصغار الذين عمرهم بين السنة الثانية والسنة السادسة. فهي تجمع بين التربية التي يتالها الطفل من مربيتهِ وبين ما يتعلمهُ في المدرسة المماثلة بستان الاطفال (الكندر جارتن) حيث يتلقى دروس الاشياء على اسلوب حسيّ. وتعنى مدارس الاطفال écoles infantines باعداد الاولاد الذين يتراوح عمرهم بين الرابعة والسابعة لدخول المدارس الابتدائية. وبرنامج مدارس الاطفال يتفق تماماً مع برنامج المدارس التي قبلها وتقوم الحكومة

(٤) الانكليزية البريطانية (٥) Seeley

بنفقات هذين النوعين من المدارس (اي مدارس الام ومدارس الاطفال) والحضور اليها اختياري

المدارس الابتدائية نوعان(١) المدارس الابتدائية البسيطة وهي مثل الكتاتيب في مصر وفيها يبدأ التعليم الاجباري وينفصل البنات عن الصبيان الا في القرى التي يقل سكانها عن خمسمائة نفس اذ يصعب فتح مدرستين فيها لعدد قليل من التلاميذ . ويلبس الاولاد في هذه المدارس ثوباً رسمياً واحداً ويتلقون الدروس خمسة ايام[٦] في الاسبوع فتقفل المدرسة ابوابها يوم الخميس والاحد من كل اسبوع والتعليم الديني فيها ممنوع حسب القانون الصادر سنة ١٨٨٦ الذي يقضي بجعل كل مدارس الحكومة علمانية

ويحفظ في هذه المدارس كتاب فيه امثلة من دروس التلميذ أسبوعاً فاسبوعاً حتى يتمكن المفتش او الوالدون من الوقوف على مبلغ تقدم أولادهم في المدرسة .

(٢) المدارس الابتدائية العالية écoles primaires supérieures وتقسم الدروس فيها الى فرعين . في الفرع الواحد يتمكن التلميذ من مراجعة الدروس التي تلقاها في سنيه السابقة ويتعلم ما يساعده على الارتزاق وتختلف مدة التلمذة فيها حسب اجتهاد التلميذ . والفرع الثاني يعد التلامذة لدخول الكليات (وهي معاهد التعليم الثانوي) ومدتها خمس سنوات . والنظام الفرنسوي يفوق النظام الالماني بهذا الامر اذ لا اتصال بين المدارس العامة والمدارس العالية في المانيا كما ابنا في الجزء الماضي

المدارس الثانوية — هذه المدارس على نوعين الاول كليات الآداب وهي مدارس الحكومة (Lycée) والثانية المدارس الحرة (écoles libres) وهي خصوصية . ومدة التلمذة في هذه المدارس سبع سنوات وللطالب ان يختار احد احد الفروع الاربعة التي تلي(١) اللغة اللاتينية واللغة اليونانية (٢) اللغة اللاتينية والعلوم (٣) اللغة اللاتينية واللغات العصرية (٤) واللغات العصرية والعلوم[٧]

المدارس الفنية — هناك عدد كبير من المعاهد الفنية لتعليم التجارة والفنون والزراعة والطب البيطري وزراعة الخراج والهندسة على انواعها وعلم المعادن وفنون الحرب . ويبلغ عدد العالية منها نحو ٨٠ مدرسة والابتدائية نحو ٥٠٠

(٦) Statesman's Year Book 1923. (٧) Seeley History of Education p. 332

الجامعات — الجامعات في فرنسا ست عشرة جامعة فيها ١٥ كلية لتعليم القانون و٩ كليات للطب و١٧ كلية للعلوم وتعاني مدارس صيدلية عالية . تعين الحكومة اساتذة هذه الجامعات وتقوم برواتبهم واما نفقات المباني فتسدد من الهبات والاوقاف التي يجود بها الاغنياء والجمعيات الخيرية . وتمنح الرتب والالقاب العلمية باسم الحكومة وهذا مما يكفل انتظام هذه الالقاب وعدم تفوّق بعضها على البعض . وقد بلغ عدد الطلبة في هذه الجامعات سنة ١٩٢١ نحو ٥٠٠٠٠ طالب

وعندهم عدا الجامعات معاهد اخرى للتعليم العالي مثل كلية فرنسا التي انشأها فرنسيس الاول سنة ١٥٣٠ ومتحف التاريخ الطبيعي والسوربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة علم الآثار في متحف اللوفر الشهير وغيرها

﴿ المدرّسون ﴾ المدارس المعينة لاعداد المعلمين نوعان الاول المدارس الابتدائية وهي ٨٤ للمعلمين و٨٢ للمعلمات اي واحدة للمعلمين وواحدة للمعلمات في كلّ من مقاطعات فرنسا تقريباً . والثاني المدارس العالية وعددها ثلاث واحدة للمعلمين وواحدة للمعلمات والثالثة للذين يختصون بتربية الصغار

لا يقبل احد في فرنسا في منصب تعليمي ان لم يكن قد درس في احدى هذه المدارس ونال شهادتها . ويجب على الطالب الذي يريد ان ينقطع للتعليم أن يدخل احد المعاهد التي تختص باعداد المعلمين ويجب ان لا يقل عمره عن ست عشرة سنة وان تكون سيرته خالية من اللوم ومداركه العقلية لا اقل من المتوسط . وعليه ان يعفي تعهداً بانه يبقى في خدمة المعارف عشر سنوات على الاقل وذلك ليس بالامر الصعب عليه لانه يكون من عزم على قضاء عمره في التعليم . وبعد ان يتخرج من دار المعلمين يعين له منصب موقت للتمرين والاختبار ويستعد في اثناء ذلك لامتحانه النهائي فاذا فاز في هذا الامتحان واظهر مقدرة في تعليم الطلبة وادارتهم يعطى منصباً دائماً لا يقال منه الاّ اذا اساء التصرف

اما المدارس العليا لاعداد المعلمين فغالباً ما تخرّج مديري المدارس ومفتشي المعارف وسواهم من اصحاب المناصب العالية . ويؤذن لخريجي مدارس المعلمين الابتدائية ان يتموا استعدادهم في المدارس العليا وبذلك يتسنى لكل شاب طموح مجتهد ان يتابع السير في سبيل التقدم والارتقاء . والحكومة تنفق عليهم وهم في

المدرسة فلا يعيق الفقراء منهم امرٌ ما من اتمام دروسهم وليس من بلاد اخرى تفوق فرنسا فيما تفعلهُ لتسهيل سبيل المعلم حتى يقوم بعملهِ العظيم . وبعد ان يمضي على المعلم ٣٥ سنة في العمل يحال على المعاش وينال ثلاثة ارباع راتبهِ

﴿ نفقات المدارس ﴾ التعليم في مدارس الحكومة مجانيّ (٨) وتسدد النفقات كما يأتي :

(١) تدفع الحكومة رواتب الاساتذة والمدرسين وكل نفقات الادارة وتقوم بكل نفقات مدارس المعلمين

(٢) المقاطعات تنفق على بناء مدارس المعلمين وتجهيزها بالادوات المدرسية وغيرها

(٣) الحكومات البلدية تقوم بنفقات حفظ المباني ورواتب الخدم

الخلاصة — مميزات النظام الفرنسوي هي

١ — التعليم مجاني والابتدائي منهُ اجباري

٢ — ان مدارس الحكومة علمانية ابدلت فيها التربية الدينية بالتربية الاخلاقية

٣ — اتصال اجزاء النظام بعضها بالبعض حتى اصبح كلاً تامًّا

٤ — استعداد المعلمين لعملهم في مدارس خصوصية والمدارس على نوعين لكي يتم تجهيز المعلمين حسب حاجات البلاد

احصاء المدارس

نوع المدرسة	عدد المدارس	عدد التلاميذ	السنة
مدارس الاطفال	٢٨٤٩	٢٢٧ ١٥٦	(١٩٣٠)
المدارس الابتدائية	٦٨ ٠١٥	٣ ٨٣٥ ٨١٦	(١٩٢٠)
المدارس الثانوية للصبيان	٥١٥	١٠٠ ٢٢٠	(١٩١٩)
« « للبنات	١٨٩	٤٥ ١٦٨	
الجامعات	١٦	٤٩ ٩٣١	(١٩٢١)

(٨) Seeley History of Education p. 393